في سالته عن عمره فقال في ستماية سنة وشي وان له بعمر منارقه الي الان مايه سنة وهو من ولد الامام
حسن العسكري هكذا اخبرت عنه والله اعلم بحقيقة الحال فاني لم اجتمع به حتى اعرفه والحمد لله
رب العالمين ومما من الله تعالى به علي كثرة شفقتي على الايتام والعميان والمجذومين والعرجان
وسائر من به عاهة لا سيما ان جاوروا عندي حتى اني اود ان لو كانوا المجاورون كلهم عندي عميان
او عرجان ومكاسير وكان على هذا القدم سيدي احمد بن الرفاعي والشيخ عثمان الحطاب وغيرهما
من الاكابر حتى ان سيدي احمد كان يدور ورا الكلاب المدودين يداويهم فهما هرب منه الكلب
فيمشي وراه ويستعطف خاطره ويقول اي مبارك انا ارتد معدا وانك وكان يمشي الي المجذومين
والزمنا في اماكنهم يغسل ثيابهم ويفلي روسهم ولحاهم من القمل ويحمل اليهم الطعام وياكل معهم
ويجالسهم ويسالهم الدعا ويقول زيارة هولا وخدمتهم من الواجبات وكذلك كان يفعل مع العميان
والمرضى والعرجان وكان يقضي حوائج العاجزين والارامل من النصارى ويخدمهم ويحسن
اليهم حتى اسلم خلق كثير منهم على يديه وكانوا يسمونه ابو الايتام والمساكين وربما سمع بمرض
احد من الفقرا في غير بلده فيخرج اليه فيعوده ويخدمه ثم يرجع بعد يومين او ثلاثة وكان
يقف في الشارع ينتظر العميان يقود العميان فاذا قاد احدهم قبل يده وساله الدعا وكان
يتفقد الشيوخ الذين عجزوا عن الذهاب الي بيت الخلا وصاروا يتغوطون على ثيابهم فيغسلها
ويغسلها وينشفها ثم يلبسهم اياها ويوصي جيرانهم عليهم ويقول الشفقة على خلق الله
مما يقرب العبد الى الله وفي الحديث الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله وكان
عنده يتيم من الابوين فكان ياتيه في الورد او مجلس الوعظ فيطلب منه شيا ياكله او شيا يلعب
به فيقوم الشيخ وياخذ له ما طلب ثم يرجع لا يكاد يخالف له ما طلب اليتيم فيما يطلبه منه
وكان المشايخ من اهل عصره يقولون كلما حصل لاحمد بن الرفاعي من المقامات انما هو من كثرة شفقته
على الخلق وذل نفسه رضي الله عنه فاعمل على ذلك والحمد لله رب العالمين ومما انعم الله به علي
عدم مروري على احد من الفقرا والعلما وانا راكب الا وانا في غاية الحيا وكثرة تقبيلي لرجله
في النعل بحضرة اصحابه لا سيما ان كان ممن يكرهني وقليل من الفقرا من يقدر يفعل ذلك فتامل
وكان هذا من خلق سيدي احمد بن الرفاعي كما في المنة التي قبل هذه وقد سال جماعة الشيخ ابا المظفر
المهتدي رضي الله تعالى عنه عن سيدي احمد بن الرفاعي فقال لا اقدر ان اشرح لكم حاله فقالوا لا بد
ان تخبرنا بشي من احواله فقال ما اقول في رجل ما اعترف لنفسه قط بمقام ولا قدر
ولا خطر له غير ربه ولا رضي لنفسه التنعم بشي من الدنيا في يوم من الايام وكلما ازداد قربا
ومقاما عند الله تراه يزداد ذلا ومسكنة لله وللخلق وكان الاشياخ يقولون اعظم الاوليا
في عصرنا هذا قدرا الشيخ احمد بن الرفاعي في البطيحة وابو محمد بن عبد بالبصرة قيل لهم
فاي الرجلين اعلى قالوا احمد بن الرفاعي وكان قطب الاقطاب في الارض ثم انتقل
الى قطب السموات ثم صار السموات السبع في رجله كالخلخال حتى سلك بكثرة ذل نفسه
طريقا لم يسلكها غيره ثم لا علم لنا بعد ذلك لما وصل اليه انتهى وكان الشيخ ابو المعالي يحط
هو واصحابه كثيرا على سيدي احمد فلقيهم مرة سيدي احمد في طريق ومعه الاكابر اصحابه فلما
راهم سيدي احمد نزل عن دابته وكشف راسه وقبل الارض وقال لاصحابه بالله
عليكم ان اغلظوا علي القول اصبروا ساعة فلما قبل يد ابي المعالي ورجله وهو راكب تلقاه
بكل قبيح وشتمه وقال له يا اعور يا دجال يا مستحل الحرام يا مبدل القران يا ملحد حتى قال له يا

وحقه اللهم وفقني لخلقه وحرمته ونفعني بهم آمين

كلب

كلب ومع هذا الكلام وسيدي احمد يقبل يديه ويقول له اي سيدي بفضلك اعف عني وانا خادمكم
وحملكم يعني فلما طال الامر على سيدي احمد نزل عن دابته وقال اي احمد ماذا اصنع معك فوق
هذا ما بقي لي فيك حيلة ثم قال والله اني لاحبك يا احمد وما فعلت هذا معك الا لاختبر ذل نفسك
واري عزة النفس تاخذك فلم يتغير منك شعرة ثم قال يا احمد اغلقت ابواب جميع المشايخ بكثرة
زهدك ومسكنتك وسكون الدولة لك ولذريتك الى يوم القيامة فقال له سيدي احمد كل هذا ببركتك
يا سيدي وبركة هلا حفظتك لي قال يعقوب سيدي احمد ثم ان سيدي احمد قبل رجله وانصرفنا
وقد هلكنا من الغيظ مما فعله مع سيدي احمد فالتفت الينا سيدي احمد وقال لنا ما كان الا خيرا
خرج ما كان عنده ولو بقي ذلك عنده لهلك وربما اتهمنا نحن لكوننا كنا نسال الله في ذلك فارحناه
ما كان في صدره منا وكان الشيخ ابراهيم الاعزب يقول كان البستي يحط على سيدي احمد فارسل
مرة له كتابا فيه اي اعور اي دجال اي مبتدع اي من جمع بين الرجال والنسا اي كلب ونحو ذلك
فارسل له الجواب صدقت فيما قلت جزاك الله عنا خيرا فلا تخليني يا اخي من دعائك وهمك
يسعى وكتب عنوانه من اللاش حميد الى سيدي الشيخ المحتشم المكرم البستي فلما وصل
الكتاب الى البستي ندم وخرج من بلاده هاربا على وجهه فلم يدر احد اين ذهب وكان
سيدي علي الخواص يقول قد ذلل سيدي احمد في الذل مسلكا يقصر عنه فحول الرجال وروى
الشيخ عبد الغفار القوصي بسنده الى يعقوب خادم سيدي احمد قال كنت كلما لقيت الشيخ عبد الله
الهندي يقول لي احمل هذه الرسالة الى شيخك وقل له اي محمد اي يا طمني ونحو ذلك من الالفاظ القبيحة
فكنت اخبر سيدي احمد بذلك فيقول له قل له صدقت ثم يعطيني دريهمات هكذا شانه معي ثم ارسل
للشيخ عبد الله الهدايا والتحف فلا يزداد الا شتما وقبحا على سيدي احمد فلما طال الامر على الشيخ
عبد الله جا الى سيدي احمد وقبل رجله وكشف راسه وبكى بكا شديدا بين يدي سيدي احمد
فصار سيدي احمد يمسح دموعه ويقول ما كان يا اخي الا خيرا نفدت غضبك الذي كان يوذيك كثيرا
واكتسبنا الخير بسببك ثم سال سيدي احمد في ان ياخذ عليه العهد ففعل وصار من اكابر اصحابه
فانظر يا اخي الى هذه الاخلاق واقتد بهذا السيد وقبل نعل من يكرهك ويحط عليك ان
اردت ان تكون من الصالحين والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي كراهة نفسي للقرب
من الملوك والامرا الا ان اعطاني الله تعالى الكشف التام لعلمي بعلو مقامهم فلا ينبغي ان تكون شيخهم
الا على شانهم في العلو في المقام على غيره فشيخ الفقير في راحة وشيخ الامير في تعب وخجل
لان الامير كلما يقول له قل لي على ما بقي من مدة ولايتي او حتى يعزل عدوي الفلاني او هل يقوم
يقوم السلطان من هذه الصفة ام لا ونحو ذلك فان لم يكن مشهده اللوح المحفوظ من المحو
والاثبات خجل وافتضح وسقط من عين الامير فلا يلوم الفقير الا نفسه اذا طرده الباشاه مثلا
عن حضرته بعد تقريبه وقد طلب ابو جعفر المنصور صحبة ابي ذيب فقال له بشرط ان تقبل نصحي
فقال ابو جعفر نعم فصحبه فقال له ابو جعفر يوما ما تقول في فقال له لا تعدل في الرعية ولا
تقسم بالسوية فتغير وجه ابو جعفر وولى عن ابن ابي ذيب ولم يطق صحبته فلا بد لمن
يصحب الملوك من حاله يحميه اذا انقلب احد منهم وقد بلغنا عن السلطان يعقوب بارض المغرب
انه قتل اخاه من اجل الملك ثم ندم وصار يتطلب شيخا يتوب على يديه ويرشده الى ما يكون به
تكفير ذلك الذنب فدلوه على الشيخ ابي مدين وكان اذ ذاك ببجاية وكان يعقوب بتلمسان
فارسل يعقوب رسله الى بجاية لياتوه بالشيخ ابي مدين فاجاب وقال سمعا وطاعة لولي الامر ولكني

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)